ثقافةُ التسامُحِ في الإسلامِ
ومواجهة العنف الإلكتروني والكراهية

إعداد الدكتور/ أيمن عثمان عبد العليم
الأستاذ بجامعة بخارى الحكومية

- **مقدمة:**

الحمدُ للهِ الذي جعلَ العِلْمَ النافِعَ طريقًا لِرِضاه، وصِراطًا لِهُدَاه، والصلاةُ والسلامُ على خَاتَمِ النبيينَ وإمامِ المُرْسَلِين سيدِنا محمدٍ، وعلى آلِهِ وصحبِهِ أجمعين، وسَلِّمْ تسليمًا كثيرًا.

وبعد...

فالتسامحُ فضيلة أخلاقية من أرقى الصفات التي أمرنا الإسلامُ بها، وضرورة مجتمعية، ولأن الإسلامَ دين عالمي فهو دين الرحمة والتسامح؛ يتجه برسالته إلى البشرية كلها، يدعو إلى التسامحِ بين البشر جميعًا في جَوٍّ من الإخاء والتعاون بين كل الناس.

- **مفهوم التسامح:**

والتسامح يعني القدرة عن العفو عن الآخرين، وعدم مقابلة الإساءة بإساءة مثلها، والحرص على التمسك بالأخلاق الراقية مما يعود على المجتمع بالخير عن طريق تحقيق التضامن والوحدة بين أفراده، وتحقيق المساواة والعدل والحرية خلال احترام العقائد والثقافات المختلفة.

ويعد التسامح أحد القيم المتعلقة بالحقوق التي يتمتع بها النظام الديموقراطي مثل حرية التعبير عن الرأي، والمساواة أمام القانون، واحترام الأقلية، وحقوق الأسرى وعدم إلحاق الأذى بهم. والتسامح هنا يشير إلى تقبل اختلافات الصفات الإنسانية، الخلقية والفكرية، والإقرار بحقوق جميع الأفراد مع اختلاف طوائفهم، واحترام آراء الآخرين وعدم التعدي عليهم.

- **مظاهر التسامح في الإسلام:**

والمتأمّلُ في آياتِ القرآن الكريم وأحاديثِ السّنّة النّبويّة المطهّرة يدرك حقيقةَ سماحةِ هذا الدّين في كلّ مظاهره، فالمسلمُ مأمورٌ بالتّعاملِ مع الآخرين والإحسانِ إليهم والتسامحِ في التّعامل معهم بالعفو عنهم عند المقدرةِ، والتجاوزِ عن أخطائهم، ووضعِ الأعذارِ لهم، والنظرِ إلى مزاياهُم وحسناتِهم، بدلاً من التركيزِ على عيوبهم وأخطائهم.

وتبدو سماحةُ المسلمين في تعاملاتهم المختلفة سواءٌ مع بعضهم البعض أو مع غيرهم من أصحاب الديانات الأخرى(١).

فالمسلم في تعامله مأمور بأن يكون سمحًا في بيعه وشرائه، وفي عفوه عمّن أساء إليه، وفي صفحه عمّن ظلمه، قال تعالى: (وإنْ تَعْفُوا أقْرَبُ للتقوى) البقرة، الآية: ٢٣٧. وقال صلى الله عليه وسلم: «أفضلُ أخلاقِ أهلِ الدنيا والآخرة أن تَصِلَ من قطعك وتُعطي من حرمَك وتعفو عمَّن ظلمَك»(٢).

وكان في مقدمة من سلك هذا المنهج رسول الله – صلى الله عليه وسلم – واقتدى به كلُّ صاحب نفس كبيرة وهمة عالية، احتمالاً للناس وصبرًا عليهم والتغاضي عن هفواتِهم، فوَسِعوا الناسَ بأخلاقِهم وحُسنِ تعامُلِهم.

ألم يعفُ النبيُّ الكريمُ عن كفار قريش ممن سامُوا المسلمين سوءَ العذاب قائلا لهم بلسان المتسامح: «ماذا تظنون أنّي فاعل بكم؟ قالوا: أخٌ كريمٌ وابنٌ أخٍ كريم، فقال: اذهبوا فأنتم الطّلقاء»(٣).

والإسلامُ لمْ ينْتشر بِحَدِّ السَّيفِ بلْ بالدعوة الحسنة والسماحة والرحمة؛ ففي الإسلام وحضارته يكون القتال للدفاع وليس للعدوان، وأثناء القتال لا يصح للمسلمين أن يقتلوا شيخًا أو

١– نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ، عدد من المختصين، (الطبعة ٤)، جدة : دار الوسيلة للنشر والتوزيع، صفحة ٦/٢٢٨٨، بتصرّف

٢– مسند الإمام أحمد بن حنبلأحمد محمد شاكر ، دار الحديث – القاهرة ، الطبعة: الأولى، ١٤١٦ هـ – ١٩٩٥ م ، رقم ٨٥٧٦ .

٣– السنن الكبرى للبيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ) ، تحقيق : محمد عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية، بيروت –لبنات ، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣ م ، رقم ١٨٢٧٦

عجوزًا أو طفلا أو امرأة، وعليهم ألا يتعرضوا بسوء للكتابيين الذين فرَّغوا أنفسهم للعبادة في أديرتهم ومعابدهم، وعليهم ألا يهدموا منزلا ولا يقطعوا زرعًا ولا يحرقوا نخلا، كما جاء في وصايا الخلفاء الراشدين لجيوشهم جندًا وقُوَّادًا.

لذلك اعتنق الناس الإسلام في كل بلد دخله هذا الدين، والتحم المسلمون الجدد في هذه البلاد بالمسلمين الوافدين من جزيرة العرب وتعاونوا معًا في إقامة صرح الحضارة الإسلامية، وضربت شعوب الإسلام بصفة عامة من عرب وفرس وترك وأزبك ومصريين ومغاربة وأندلسيين بسهم وافر في هذا الميدان في العصور الوسطى، فكان على شعوب العالم أن يتأثروا بثقافة الإسلام ويلتحقوا بحضارته، وكان عليهم أن يتحولوا إلى هذا الدين بسماحته وحضارته وقيمه ومُثُلِه ونظمه الاجتماعية الراقية.

- **<u>أنواع التسامح:</u>**

وأنواع التسامح في الإسلام كثيرة ومتعددة، منها: **التسامح الديني:** فلا تعرف البشرية دينًا تسامَحَ مع أصحاب الأديان والمعتقدات مِثلَ الإسلام، وضربَ رسولُ الله –صلى الله عليه وسلم– أروع الأمثلة على التسامح العَقَدي، وهو الذي عاش وأصحاب الديانات من غير المسلمين في المدينة آمنين؛ أمّنهم على معتقداتهم، وعباداتهم، ومعابدهم، وطقوسهم وصلبانهم، يمارسون شعائرهم، دون حرج ولا ضيق(٤).

ومن أنواع التسامح أيضًا **التسامح العرقي:** فقد جاء الإسلامُ ليمحوَ الجاهليةَ وما فيها من المحرمات والأباطيل، من هذه الأباطيل التي كانت منتشرة العصبية، وجعل الناس جميعا سواسية كأسنان المشط، لا فرق بينهم إلا بالتقوى، قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: (يا أيُّها النَّاسُ، ألَا إنَّ ربَّكم واحِدٌ، وإنَّ أباكم واحِدٌ، ألَا لا فَضْلَ لِعَربيٍّ على عَجَميٍّ، ولا لعَجَميٍّ على عَرَبيٍّ، ولا أحمَرَ على أسوَدَ، ولا أسوَدَ على أحمَرَ؛ إلَّا بالتَّقْوى)(٥).

٤– تاريخ الطبري ٦٠٩/٣

٥– رواه أحمد بن حنبل، في مسنده ، عن أبي نضرة، رقم:٢٣٤٨٩

وهناك **التسامح الاجتماعي:** حيث لا يقوم المجتمع على نظام الطبقات بين شريف ووضيع، وغني وفقير، جاء الإسلام فارتفع بالمرء لما ناله من العلم والإيمان.

وهناك **التسامح في العبادات:** فقد شرع اللهُ –تعالى–واجباتٍ أوجبها على المسلمين لزامًا؛ ليتقربوا بها إليه، وجعل عقوبةً على ترك هذه الواجبات، كما رتب لمن يقوم بها أجرًا عظيمًا. ولكن الإسلام استثنى من العقوبة كلَّ من ترك هذه الواجباتِ خارجَ نطاقِ المقدرةِ؛ كالنَّاسِي، فهو خارجُ نطاقِ العلم، ومن كان لا يقدر على القيام بهذه العبادة؛ لمرض، أو لعرض يشغله عن هذه العبادة، فإن الإسلامَ عفا عن أمثال هؤلاء، ولم يكلفهم فوقَ الطاقة، قال الله تعالى: (لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ)(٦).

كما أن هناك **التسامُحَ في العقوبات:** قد جعل الله تعالى هذه العقوبات التشريعية رادعة للعصاة، ولكنَّ الشرعَ يتجاوز عن هذه العقوبات في مجالات عديدة؛ كالشُّبْهةِ، كما لا تُقْطَعُ يدُ السارق في المجاعات، أو في السرقة التي له فيها شبهةَ مِلْك؛ كالمرأة التي تسرقُ من بيت زوجها(٧).

- **مجالاتُ التسامحِ:**

إن مجالاتِ التسامحِ واسعةٌ ومتعددةٌ وشاملة، تَعُمُّ الناسَ كُلَّهم، ولا تقتصرُ على أفرادٍ معينين، دون غيرهِم، ولا على تصرفاتٍ معينةٍ دون غيرها.

وما أحْوَجَنا اليومَ إلى التسامحِ خاصةً في ظلِّ المتغيراتِ المتسارعةِ نتيجةَ التقدمِ الرقمي، والانفتاحِ الكبيرِ على التكنولوجيا، وتقليصِ المسافاتِ والحواجزِ، مِمَّا خلقَ حالةً من التصادمِ بين بعض الثقافات والتقاليد وغيرها، حتى أصبحت هذه التقنيات الرقمية مصدرًا للتسلية والتحرش والابتزاز والانتقام باستخدام كاميرات الموبايل والبلوتوث والتسجيلات الصوتية، إضافة لاختراق الخصوصيات عبر مواقع الإنترنت، بهدف إيقاع الأذى بالآخرين. وامتلأ الإنترنت بالكراهية وعجَّ بالعنف والمضايقات والإهانات والتهديدات ضد مختلف شرائح المجتمع عبر الوسائط الإلكترونية ومواقع الصفحات الإلكترونية.

٦– من مظاهر التسامح الإسلامي .. الرحمة "، الألوكة، د. عمر بن عبدالعزيز قريشي (٢٠١٣/٣/١٢) . بتصرّف

٧- السابق

ويعد **العنف الإلكتروني** أكثر خطورة من العنف التقليدي بسبب ثلاثة عوامل متمثلة في: الاعتياد عليه، واتساع دائرة الجمهور المحتمل، وصعوبة الوصول للفاعل. ويمس الحياة الاجتماعية والنفسية للأفراد ما قد يمثل تهديدًا للاستقرار الأمني والاجتماعي على مستوى الفرد والأسرة والمجتمع.

لذا يجب تعزيز البناء القيمي والديني وتنمية الوازع الخُلُقي للحد من العنف بأشكاله، وإبراز قيم الدين السمحة التي تدعو للتسامح والتعاطف وعدم إلحاق الأذى بالغير، وتنظيم حملات توعية تبرز خطورة العنف وأهمية نشر القيم الإنسانية وبيان أثر التسامح على الفرد والمجتمع، وأن التسامحَ يُعِينُ على تعزيزِ مفهومِ التَّعايشِ بين الشعوب والأفراد؛ لأن التنافرَ وعدمَ الانسجامِ، يقلّلُ مِن فُرصِ التلاقي والتجمع.

وفي النهاية .. إن ثقافةَ التسامحِ تشكّلُ صِمَامَ أمانٍ لِعالَمٍ مُطمئنٍ ومزدهرٍ ومتقدّم، كما تشكّلُ الأساسَ المَتِينَ لِعلاقاتٍ طيبةٍ على مستوى الأفرادِ والمجتمعات، لذا من واجبِ الجميعِ العملُ على نَشْرِ قِيَمِ وفضائلِ التسامحِ فنعيشَ في عالَمٍ متقدمٍ وَرَاقٍ يَسُودُه الأمَنُ والأمانُ.